اليَتِيم

وقدْ فَرِحَ عبدُ المطلب بولادَته ﷺ أيّما فَرَح، وعُنِيَ به كلَّ العناية. أمَّا أبوهُ فقدْ تُوُفِّيَ وهوَ في بطن أمِّه حيثُ كانتْ حاملاً به لشهرين، فوُلِدَ يتيمًا، ولكنَّ جدَّه كانَ مَعْنيّا به فَرِحًا بقدومه وولادته.

وقد التَمَسَ جدُّهُ عبدُ المطلب له المَراضعَ، وفي ذلكَ يروي ابنُ إسحاقَ الروايةَ التاليةَ: «كانتْ حَليمةُ بنتُ أبي ذُؤَيب السعديةُ أمُّ رسول الله ﷺ التي أرضعَتْه تُحدِّثُ أنَّها خرجتْ من بلدهَا معَ زوجها وابن لها صغير ترضعُه في نسوةٍ منْ بني سعد بن بكر، تلتمسُ الرُّضَعَاءَ.

قالتْ حليمةُ: وكانَ ذلكَ في سنة شهباءَ لَمْ تُبْقِ لنَا شيئًا.

خرجتُ علَى أتان لي قمراءَ، معنا شارف لنا [1] والله مَا تبضُّ بقطرة[2]، وما ننامُ ليلَنا أجمعَ منْ صَبيِّنا الذي معنَا، من بكائه منَ الجُوعِ، وما في ثَدْيي ما يغنيه، وما في شارفنَا ما يغذِّيه، ولكنَّا كُنَّا نرجُو الغيثَ والفَرَجَ.

(١) ناقة مسنة.

(٢) ليس فيها لبن.

فخرجتُ علَى أتَاني تلكَ، فلقد أدَمْتُ بالركب[1]، حتَّى شَقَّ ذلكَ عليهم ضعفًا وعجفًا[2].

حتَّى قَدمنَا مكةَ نلتمسُ الرُّضَعَاءَ، فما منَّا امرأةٌ إلا وقدْ عُرض عليهَا رسولُ الله ﷺ فتأباهُ إذا قيلَ لهَا: إنهُ يتيمٌ، وكذلكَ أنَا؛ إنَّما كنتُ أرجُو المعروفَ من أبي الصَّبيِّ، فكنَّا نقولُ: يتيم!.. ومَا عسَى أنْ تصنعَ أمُّهُ وجدُّهُ؟!

فمَا بقيَت امرأةٌ قَدمَتْ مَعي إلا أخذتْ رضيعًا، غيري.

فلمَّا أجْمَعْنَا الانطلاقَ قلتُ لزوجي: والله إني لأكرَهُ أنْ أرجعَ منْ بينِ صواحِبي ولمْ آخُذْ رضيعًا، والله لأذهبَنَّ إلى ذلكَ اليتيم فلآخُذنَّه.

فقال: لا عليك أن تفعلي؛ عسَى اللهُ أنْ يجعلَ لنَا فيه بركةً.

وهكَذَا ذهبتْ حليمَةُ، وأخذتْ الرسولَ ﷺ لتنالَ شرفَ إرضاعِه وهوَ طِفلٌ صغيرٌ، وتصبحَ أمَّهُ في الرَّضاعة.

* * *

(١) أي سكنت حركتهم لبطء دوابهم من أجلهم.

(٢) عجفًا: هزالاً.